خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١١/٠١/٢١

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

يشتد النقاش حاليًا في وسائل الإعلام الإلكترونية كشبكة الإنترنيت وغيرها – سواء في العالم الإسلامي أو في غيره – حول موضوع احترام النبي ﷺ أو قانون التجديف والإساءة إلى النبي ﷺ. وإنه لمصدر قلق كبير لكل مسلم حقيقي يؤمن بجميع الرسل – بدءا من آدم عليه السلام وإلى النبي ﷺ – أن يُساء إلى أي رسول من المرسلين أو مبعوث من الله وتُشَنّ هجمة على عرضه، ولكن إذا كانت هذه الهجمة موجهة إلى ذات النبي ﷺ الذي جعله الله تعالى أفضل

الرسل أجمع فإن قلق المسلم الحقيقي واضطرابه يزداد أضعافًا، إذ بوسعه أن يقدم عنقه للذبح، ويستطيع أن يرى أمام عينيه قتل أولاده ونهب أمواله وثرواته إلا أنه لا يطيق سماع كلمة صغيرة توحي بإساءة خفيفة إلى النبي ﷺ ناهيك أن يتحمل ارتكاب إهانة سافرة لسيده ومولاه ﷺ. على أية حال، لقد وصل هذا الموضوع الآن إلى منعطف حساس جدًّا في العالم الإسلامي ولا سيما في باكستان في ظل بعض الظروف والأحداث، ولذلك فإن نظرات العالم كله تتجه نحو باكستان في هذه الأيام لأسباب كثيرة من أهمها هذه القضية المذكورة، وأخذ رؤساء البلاد الغربية وبابا الفاتيكان أيضا يطالبون حكومة باكستان باتخاذ إجراءات مناسبة بهذا الخصوص. إن البلاد الغربية أو مَن يُدْعَون بأنهم ينتمون إلى بلاد الرقي والازدهار يقدمون الإسلام في هذه الأيام وكأنه دين خطير يدعو إلى التشدد ويحث على عدم التحمل، وصارت باكستان وأفغانستان وبعض البلاد الإسلامية مضرب المثل في هذا. لست الآن في صدد بيان أهمية قانون التجديف أو صون احترام النبي ﷺ لدى المسلمين، ولا في بيان صورته القانونية المطلوبة، ولا في ذكر الفوائد التي يجنيها العالم غير الإسلامي جراء هذا القانون ويلعب من خلاله بمشاعر المسلمين، إنما أريد قوله أن من يحاول النيل من احترام النبي ﷺ فسينطبق عليه قول الله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (الحجر ٩٦) وبالتالي هو نفسُه يدمِّر دنياه وعقباه. إن مكانة سيدنا وسيد الكونين أسمى من أن تنال منها أفكار العالم، بل يحفظها الله تعالى نفسُه في كل حين وآن، حيث يذكر في القرآن الكريم كيف تُرفع مكانة النبي ﷺ ودرجته العليا وشرفه العظيم كل حين وآن بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ

وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ (الأحزاب ٥٧)، هذا هو مقام النبي بحيث إن الله تعالى وملائكته أيضا يصلون عليه. هذه هي المكانة السامية التي نالها النبي ﷺ. لم تستخدم هذه الكلمات بحق أي نبي من الأنبياء، وكان المسيح الموعود والمحب الصادق للنبي ﷺ أكثر من نال عرفانًا بمكانته السامية ثم أخبرنا عنها قائلا:

"انظروا إلى صدق سيدنا ومولانا محمد رسول الله ﷺ ووفائه، لقد واجه كل نوع من السيئة وتحمل مصائب وآلام شتى إلا أنه لم يبالِ بها، فبسبب هذا الصدق والوفاء أنزل الله تعالى عليه فضله، ولأجل ذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، ويظهر من هذه الآية أن أعمال النبي ﷺ كانت قد بلغت درجة عظيمةً بحيث لم يستخدم الله تعالى أية كلمة لبيان تعريفها وتحديد وصفها، كان بالإمكان استخدام الكلمات المناسبة لها ولكن الله لم يستخدمها قصدًا ويعني ذلك أن أعماله الصالحة كانت أسمى من أن يتم التعريف بها وتحديد وصفها. لم يستخدم الله تعالى مثل هذه الآية بحق أي نبي من الأنبياء. لقد كانت روحه ﷺ تتحلى بأسمى درجات الصدق والوفاء وكانت أعماله محببة في عين الله تعالى لدرجةِ أنه أمَر الناس بالصلاة عليه للأبد شكرًا على هذه النعمة."
(الملفوظات ج١ ص ٢٣-٢٤)

فلقد قدم النبي ﷺ أمامنا أسوة لهذا الصدق والوفاء. ولكن مع من أظهر النبي ﷺ هذا الصدق والوفاء العظيم يا ترى؟ إنما أظهره مع خالقه ﷻ. فلو أردنا اتباع النبي ﷺ والدخول في أولئك الناس من أمته الذين يؤدون حق إيمانهم فلا

بد لنا من العمل بكل الصدق والوفاء بتلك الأمور التي أمرنا بها الله تعالى، كما لا بد لنا أن نرطب ألسنتنا بالصلاة على النبي ﷺ حتى ننال قرب الله تعالى، ونستفيض بتلك البركات التي أناط الله تعالى الاستفاضة بها بالنبي ﷺ. فكما قال المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام عن النبي ﷺ أن وصف أعماله أسمى من أن يحدد في كلمات، وبسبب تلك الأعمال العظيمة نال هذا المقام السامي حيث يصلي عليه اللَّه تعالى وَمَلَائِكَتهُ أيضا، ولأجل ذلك أُمِر المؤمنون أيضا أن يصلوا عليه ويجب أن يراعوا أثناء صلاتهم على النبي ﷺ تلك المنن والأيادي التي أسداها إلينا إذ علمّنا دينًا جاء لتوطيد علاقة الإنسان مع الله تعالى، وقدم لنا نموذجًا عن تلك الأخلاق التي يرتضيها الله تعالى. فلقد قدم نماذج غيرته على قدوسية الله وعلى مقام توحيده ﷻ، كما أصبح عبدًا كاملاً له وأدى حقوق عبادته، وأرانا أسوته الكاملة في خشية الله، وسيرتَه المثالية في الحمد والشكر إلى الله. لقد أمر الله تعالى المؤمنين في القرآن الكريم بالتمسك بالصدق والالتزام بالحق والدِّين، والوفاء بالعهود وصلة الرحم ومواساة خلق الله ومحبتهم والشفقة عليهم، والتحلي بالصبر والتحمل والتسامح والعفو، والتواضع والإنكسار والاتكال على الله في كل الأحوال وغير ذلك من أحكام كثيرة، وإن النبي ﷺ قد قدّم مثالا أسمى لكل هذه الأخلاق والأحكام، فعلى المؤمن أن يسعى جاهدًا – عند صلاته على النبي ﷺ – للعمل بهذه النماذج الطاهرة من سيرة النبي ﷺ، فهذه هي الطريقة المثلى لإظهار الصدق والوفاء الذي يكنه كل مؤمن لسيده ومولاه محمد ﷺ، فلو عمل به كل مؤمن ثم صلى على النبي ﷺ فإن صلاته هذه تعدّ تلك الصلاة المنبعثة من القلب بدافع

الشكر. هذه هي علاقة الحب والوفاء مع النبي ﷺ، وهذا ما يعتبر الاحترام اللائق بمقامه ﷺ بحيث كلما اعترض أحد على النبي ﷺ سعينا للتمسك بأسوته أكثر، وليس من هذا الاحترام في شيء أن نضرب بمقتضيات العدل عرض الحائط من أجل تحقيق الأهداف الخاصة والمقاصد الشخصية وبالتالي نعطي – بسبب أعمالنا هذه – فرصة توجيه أصابع الاتهام إلى سيدنا وسيد المعصومين ﷺ والإساءة إليه والنيل من احترامه، وليس إلينا فحسب. فلو وجد معارضو الإسلام فرصة الإساءة إلى النبي ﷺ بسبب تصرفاتنا السيئة فإننا مؤاخذون على مثل هذا التصرف لأنه هيأ للعدو فرصة للإساءة إلى النبي ﷺ. هل تظنون أن هتافاتكم الجوفاء وادعاءاتكم الفارغة تجعلكم محبين صادقين للنبي ﷺ؟ فاعلموا أن الله تعالى لا يرضى بتلك الأقوال، بل هو يحب الأعمال. وهذا هو الأمر الذي يجب على المسلمين أن يحذروه.

أما بالنسبة إلى إظهار العدو بغضَه وحقدَه ومحاولةِ إساءته إلى سيدنا وحبيبنا محمد ﷺ والاستهزاءِ به، فلقد قال الله تعالى عن مثل هؤلاء بأنه سيكفيهم. ولقد أرانا المسيح الموعود عليه السلام بخصوص مقام النبي ﷺ نورًا عظيمًا يشكره عليه كل أحمدي وينبغي أن يشكره على أنه لو لم يهدنا إلى الطريق الصحيح لاقتصرت علاقتنا مع النبي ﷺ على التشريعات الظاهرية والجلسات والتظاهرات فقط. فحين نقرأ في الصلاة على النبي "وعلى آل محمد" يجب أن يبرز في قلوبنا تصور سيدنا المهدي عليه السلام أيضا الذي أرشدنا في عصرنا الراهن. والآن سأقرأ عليكم بعضا من مقتبسات المسيح الموعود عليه السلام التي تبيّن لنا ما

هي المكانة السامية للنبي ﷺ التي أدركها المسيح الموعود عليه السلام. فإن معرفتها كان من نصيبه عليه السلام هو ثم أرشدنا إليها.

يقول عليه السلام: إن ذلك النور الأجلى الذي وُهب للإنسان، أعني للإنسان الكامل، لم يكن ذلك النور في الملائكة، ولا النجوم، ولا القمر، ولا الشمس، ولم يكن في بحار الأرض ولا أنهارِها، ولا في اللَّعْلِ، ولا الياقوت، ولا الزمرّد، ولا الماس، ولا اللؤلؤ؛ باختصار، لم يكن ذلك النور في أي شيء من الأرض أو السماء، وإنما كان في إنسان كامل، ذلك الإنسان الذي كان أتمَّ وأكملَ وأعلى وأرفعَ فردٍ من نوع البشر، وهو سيدنا ومولانا، سيد الأنبياء، سيد الأحياء محمد المصطفى ﷺ. فقد أُعطي هذا الإنسان الكامل ذلك النورَ وكذلك أُعطِيه – حسب مراتبهم – أولئك ا لذين تصبغوا بصبغته *(أي الذين يحاولون التأسي بأسوته)* ... وإن هذا الشأن وُجد بوجه أتم وأكمل في سيدنا ومولانا وهادينا النبي الأمي الصادق والمصدوق محمد المصطفى ﷺ". (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، مجلد ٥ ص١٦٠-١٦٢)

والآن لاحِظوا مثالا آخر لمدى فناء هذا العاشق الصادق في عشق النبي ﷺ وإظهاره عواطفه القلبية، يقول عليه السلام: "إنني دائما أنظر بعين الإعجاب إلى هذا النبي العربي الذي اسمه محمد (عليه ألف ألف صلاة وسلام). ما أرفعَ شأنَه! لا يمكن إدراك سمو مقامه العالي، وليس بوسع إنسان تقدير تأثيره القدسي. الأسف، أن الدنيا لم تقدر مكانته حق قدرها. إنه هو البطل الوحيد الذي أعاد التوحيد إلى الدنيا بعد أن غاب عنها. لقد أحبَّ الله حبًّا جمًّا، وذابت نفسه إلى أقصى الحدود شفقةً على خلق الله، لذلك فإن الله العالِم بسريرته فضَّله على

الأنبياء كلهم، وعلى الأولين والآخرين جميعا، وحقق له في حياته كل ما أراد. هو ﷺ المنبع لكل فيض. ومن ادعى بأية فضيلة من غير الاعتراف بأنه قد نالها بواسطة النبي ﷺ، فليس هو بإنسان، وإنما هو ذرية الشيطان؛ لأنه ﷺ قد أُعطي مفتاحًا لكل خير وكنزا لكل معرفة. إن الذي لا ينال عن طريقه ﷺ فهو محروم أزلي. من نحن وما هي حقيقتنا؟ سنكون من الكافرين بنعمة الله ﷻ إن لم نعترف بأن التوحيد الحقيقي إنما وجدناه عن طريق هذا النبي، وأن معرفة الإله الحيّ إنما حصَّلناها بواسطة هذا النبي الكامل وبنوره، ولم نتشرف بمكالمة الله ومحادثته التي نحظى من خلالها برؤيته ﷻ إلا بفضل هذا النبي العظيم. إن أشعة شمس الهداية هذه تقع علينا كالنور الساطع، ونستطيع أن نبقى مستنيرين ما دمنا واقفين إزاءها." (حقيقة الوحي، الترجمة العربية ص ١٠٣- ١٠٤)

ثم يقول عليه السلام: عندما ننظر بعين الإنصاف نجد نبيا عظيما واحد حائزا الدرجة العليا في سلسلة النبوة كلها ونبيا حيا واحدا وأحبَّ الأنبياء إلى الله تعالى بطلا واحدا، أي سيد الأنبياء وفخر الرسل وتاج المرسلين الذي اسمه محمد المصطفى وأحمد المجتبى ﷺ، الذي لو سار أحد في ظله لعشرة أيام لنال نورا ما كان ليُنال إلى ألف سنة". (سراج منير، الخزائن الروحانية المجلد ١٢ ص ٨٢)

ثم يقول في بيان حياة النبي ﷺ ويخبرنا بكيفية حياته فيقول:

"إن ديني هو أنه لو فُصل النبي ﷺ، واجتمع جميع الأنبياء الذين خلوا إلى ذلك الوقت وحاولوا إنجاز المهمة والإصلاح الذي قام به النبي ﷺ لما استطاعوا ذلك قط، إذ لم يملكوا قلبا وقوة أُعطيها نبينا. وإذا قال أحد إن في ذلك إساءة إلى

الأنبياء، والعياذ بالله، فإن ذلك الجاهل يفتري عليّ. إنني أرى احترام الأنبياء وإكرامهم جزءا من إيماني، ولكن أفضلية النبي ﷺ على الأنبياء جميعا هو الجزء الأعظم لإيماني، وممزوج في كل ذرة من كياني. فليس بوسعي أن أتخلى عنه. فليقل المعارض الشقي العَمِهُ ما يحلو له غير أن نبينا الأكرم ﷺ أنجز مهمة لا يسع أحدا أن ينجزها سواء بمفرده أو مجتمعين، وذلك فضل الله."

ثم يقول عليه السلام:

"الآن لا كتابَ لبني نوع الإنسان على ظهر البسيطة إلا القرآن، ولا رسولَ ولا شفيعَ لبني آدم إلا محمد المصطفى ﷺ، لذلك فاجتهِدوا أن تصِلوا نبيَّ الجاه والجلال هذا بآصرة الحبّ الصادق، ولا تفضّلوا عليه سواه بأيّ شكل، لكي تُعَدّوا في السماء من زمرة الناجين، وتذكروا أنّ النجاة ليست بشيء يظهر بعد الموت وإنما النجاة الحقيقية هي تلك التي تُري لمعانَها في هذه الحياة الدنيا. ألا من هو الناجي؟ هو ذاك الذي يوقن بأن الله حق وأَن محمّدا ﷺ شفيع وسيط بينه وبين الخلق كله. وأن لا كفوَ له من رسول ولا مثيلَ للقرآن من كتاب مكانةً تحت أديم السماءِ، وأنه لم يشأ الله لأحد أن يحيا خالدًا، إلاّ أنّ هذا النبي المصطفى حيّ إلى أبد الآبدين، وقد مهّد لحياته الأبدية إذ جعل إفاضته التشريعية والروحانية مستمرةً إلى يوم القيامة ". (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، مجلد ١٩ ص ١٣-١٤)

ثم يقول في ذكر حياة النبي ﷺ الأبدية وكيفيتها:

" من الغريب حقا أن الدنيا موشكة على الانتهاء ولكن أشعة فيوض هذا النبي الكامل لم تنته بعد. لو لم يمنع كلام الله القرآنُ من ذلك لقلتُ إنه هو النبي

الوحيد الموجود في السماء إلى الآن بجسده لأننا نجد علامات واضحة لحياته. إن دينه حيٌّ، وإن متَّبعه يصبح حيا، وبواسطته يمكن الوصول إلى الله. لقد وجدنا أن الله تعالى يحبه ويحب دينه ويحب من يحبه. وليكن معلوما أنه هو الحي الوحيد في الحقيقة، وأن مكانته في السماء أعلى من الجميع. وهو في السماء عند إله مقتدر، لكن ليس بهذا الجسد المادي الفاني بل بجسم نوراني آخر لا يفنى." (حقيقة الوحي، الترجمة العربية ص ١٠٣)

فلو نظر أحد بعين الإنصاف فلا يسعه إلا الاعتراف أنه لم يدرك أحد مقام النبي ﷺ كما أدركه المسيح الموعود عليه السلام. كان عليه السلام هو البطل الوحيد الذي رفع صوته قبل غيره بصورة مؤثرة جدا كلما وُجّهت الهجمات إلى النبي الأكرم ﷺ. ففي عام ١٨٩٧م نُشر من قبل مطبعة المركز المسيحي كتاب ضد الإسلام واستُعملت فيه لغة بذيئة جدا ضد النبي ﷺ بُغية إثارة المسلمين. وقد وُزِّعت ألف نسخة منه مجانا على علماء المسلمين وزعمائهم بُغية تجريح مشاعرهم، وأرسِلت نسخة منها إلى المسيح الموعود عليه السلام أيضا. عندها نشر عليه السلام إعلانا ولفت أنظار الحكومة إلى أنه صحيح تماما أن القانون يسمح لنا أيضا أن نؤلف مقابل ذلك كتاب وهذا لا يُعد إساءة ولا إهانة فلكم أيضا أن تؤلفوا كتابا، ولكن الحق أن المسلمين يؤمنون بالأنبياء جميعا لذا لا يمكن أن يكتبوا كلاما بذيئا ولغوا عن عيسى عليه السلام أو غيره من الأنبياء ولا يمكنهم أن يستخدموا لغة بذيئة عنهم. فأشار عليه السلام على الحكومة أن تسن قانونا يسمح لأصحاب مختلف الأديان والمذاهب أن يبينوا ميزات أديانهم ولا تُسمح الإساءة إلى الأديان الأخرى. هذا هو الطريق الذي يضمن أمن المجتمع وسلامته وإقامة

الأخوة، ولا يوجد طريق آخر. فكان في قلبه عليه السلام حماس شديد لحماية مقام النبي ﷺ والدفاع عنه وعن الإسلام، فكان جاهزا للدفاع عنه في كل موطن. فوضّح للمسلمين بألم شديد وعلّمهم كيف يمكنهم أن يُفشلوا هجمات العدو وما هو المسلك الأمثل الذي يجب على المسلمين أن يسلكوه. وقال لهم بأن الذود عن شخص النبي ﷺ مهمة يجب أن تتكاتفوا فيها معا بغض النظر عن انتمائكم المذهبي. فقال:

"لقد أراد معارضونا (أي أعداء الإسلام) أن يوصموا وجه الإسلام الأغر والأجمل بتوجيههم آلاف الاعتراضات إليه ويُروه قبيحا ومكروها. ومقابل ذلك يجب أن نقوم بالمساعي الحثيثة لنثبت كمال هذا الدين المقدس وجماله وبراءته عن كل عيب ونقيصة وكونه معصوما. اعلموا يقينا أن المواساة الحقيقية للضالين تكمن في أن نُطلعهم على خطأ اعتراضاتهم الباطلة والواهية ونريهم ما أكثره وجه الإسلام نورا وبركة وما أبرأه من الوصمة. إن مهمتنا التي يجب أن ننجزها حتما هي أن نستأصل الدجل والافتراء الذي بسببه دُفعت الأمم لإساءة الظن بالإسلام. وإن هذه المهمة هي الأهم من غيرها، ولو تكاسلنا فيها لكنا مسيئين إلى الله ورسوله ﷺ. إن المواساة الحقيقية للإسلام والحب الصادق للنبي ﷺ هو أن نبرِّئ ساحة سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ والإسلام من هذه الافتراءات ولا نعطي للقلوب الميالة إلى الوساوس فرصة لإثارة وسوسة جديدة بأننا نريد أن نمنع هذه الحملة بالقوة ونتحاشى كتابة الرد عليها. كل شخص يتبع رأيه وأفكاره ولكن الله تعالى قد شرح قلبي على أن التأييد الحقيقي للإسلام في هذا العصر يكمن في أن نستأصل بذرة الإساءة

إلى الإسلام والاعتراضات التي نُشرت في أوروبا وآسيا ونُري تلك الأقوام ميزات الإسلام وأنواره وبركاته بكثرة حتى تبهر عيونهم، وتتبرأ قلوبهم من هؤلاء المفترين الذين نشروا أقوالا مزخرفةً على سبيل الخدعة. وإنني أتأسف كثيرا على الذين يرون بأم أعينهم كم تُنشر من اعتراضات سامة ويُخدع الناس ومع ذلك يقولون إنه لا حاجة لردها بل يكفي رفع القضايا وإرسال المذكرات إلى الحكومة." (البلاغ، الخزائن الروحانية المجلد ١٣ ص ٣٨٢-٣٨٣)

إذن، لا يكفي أن يُبطش بأحد وتُرفع القضية ضده أو أن تُرسل مذكرة، بل هناك حاجة للسعي الدؤوب والمستمر. وهذا هو الألم الحقيقي، فانهضوا واستمروا في رد الاعتراضات بجهد مستمر. واجعلوا أعمالكم كأعمال المسلمين الحقيقيين، ولا تجلسوا عاطلين بعد إرسال المذكرات والقيام بالتظاهرات والشغب والضجيج لبضعة أيام.

ما هي العواطف التي كان المسيح الموعود عليه السلام يكنها تجاه شرف النبي ﷺ وإكرامه؟ إنها تتبين من خلال المقتبسات التي سأقدمها الآن، يقول عليه السلام:

"كيف يمكن أن نتصالح مع الذين يذكرون نبينا المصطفى - صلى الله عليه وسلم - بكلمات بذيئة ويتهمونه بتهمٍ قذرة ظلمًا دونما خوف من الله، ولا يتورعون عن بذاءة اللسان،؟! الحق والحق أقول، إننا نستطيع أن نتصالح مع أفاعي الأراضي السبخة وذئاب البراري والفلوات، ولكن من المستحيل أن نتصالح مع الذين يشنّون هجمات قذرة على نبينا الذي هو أحبُّ إلينا من أنفسنا وآبائنا. إننا ندعو الله تعالى أن يتوفانا على الإسلام، ولا نريد أن نقوم

بأي عمل يتسبب في ضياع الإيمان." (رسالة الصلح، الخزائن الروحانية مجلد ٢٣ ص ٤٥٩)

ثم يقول في ذكر اعتراضات المعارضين مظهرا غيرته:

وما آذَى قلبي شيءٌ كاستهزائهم في شأن المصطفى، وجَرْحِهم في عِرْض خيرِ الوَرى. ووالله، لو قُتِّلَتْ جميعُ صبياني وأولادي وأحفادي بأعينني، وقُطِّعتْ أَيديَّ وأَرجُلي، وأُخرجتِ الحَدَقةُ من عيني، وأُبْعِدتُ من كلِّ مرادي وأَوْني وأَرَني.. ما كان عليّ أشَقَّ من ذلك. ربِّ انظر إلينا وإلى ما ابتُلينا". (دافع الوساوس، الخزائن الروحانية مجلد ٥ ص ١٥)

يوجد اليوم أيضا بعض القساوسة المسيحيون الذين لا يرتدعون عن توجيه التهم القذرة إلى الإسلام. في الآونة الأخيرة أعلن أحد القساوسة في أمريكا أنه ينوي حرق المصحف الشريف، ولا يزال يكنّ الأفكار نفسها و لم يرتدع عنها. كان ينوي القدوم لزيارة بريطانيا وقد أُعلن ذلك أيضا أن فئة أو ربما البرلمان قد دعته للزيارة. على أية حال نُقل في الأخبار البارحة أن حكومة بريطانيا وضعت حظرا عليه قائلة بأن في بلادنا يعيش أناس ينتمون إلى مختلف الأديان والفئات ولا نريد فسادا في بلادنا فلا نسمح لك بالقدوم إلى هنا. فهذا الذي قامت بها حكومة بريطانيا حسن جدا ، ندعو الله تعالى أن يوفقها لأداء مقتضيات العدل والإنصاف في المستقبل أيضا. كما يجب أن تتعلم الحكومات الأخرى أيضا درسا من ذلك لكي تزول الفتن والفساد من الدنيا.

والآن أسرد لكم كيف أظهر المسيح الموعود عليه السلام غيرته بصورة عملية في مختلف المناسبات وسأقدم لكم بهذا الصدد حادثا أو حادثين.

فهناك حادث تعرفونه جميعا يتبين منه كيف أبدى عليه السلام غيرة للنبي ﷺ. ففي إحدى المرات كان عليه السلام يتوضأ على محطة القطار إذ جاءه ليكهرام وسلّم عليه ولكنه استمر في الوضوء دون أن يتوجه إليه. ظن ليكهرام أنه عليه السلام لم يسمع سلامه، فجاء من جانب آخر وسلّم عليه مرة أخرى. ولكنه عليه السلام لم يرد عليه للمرة الثانية أيضا. وبعد أن أنهى وضوءه جاءه شخص وقال بأن قد جاء ليكهرام وسلّم عليك. فقال عليه السلام بحماس شديد: "يسبُّ نبينا ويسلّم علينا؟"

هذه كانت غيرته عليه السلام للنبي ﷺ التي يجب على كل مسلم أن يُظهرها.

يقول السيد يعقوب علي عرفاني: قابلت في عام ١٩٢٥م، القسيس "وايْت" في لندن، كان في تلك الأيام يُدعى "دكتور ستانستن. وقد سبق له أن عمل داعية في مدينة بتاله وقابل المسيح الموعود عليه السلام أيضا. يقول الراوي إن لهذا القسيس دورا في المناظرة التي جرت بين القسيس فتح مسيح والمسيح الموعود عليه السلام حول موضوع الإلهام. فلما كان له علاقة مع تاريخ الجماعة نوعا فأحببت أن أقابله فقابلته في لندن. فدار الحديث عن سيدنا المسيح الموعود ووقائع حياته، فقال القسيس أثناء الحديث بأني لاحظت في المسيح الموعود عليه السلام أمرا لم يعجبني قط وهو أنه كلما وُجِّه إلى النبي (ﷺ) اعتراض تغيّر لون وجهه (عليه السلام). *(المراد هنا هو الاعتراض بكلمات غير لائقة وإلا فالناس يعترضون عادة ويجري النقاش حول هذه المواضيع دائما، فكلما تجاوز أحد حد الأدب غضب حضرته عليه السلام فورا وتغيّر لون وجهه)*

يضيف السيد عرفاني ويقول: قلت للقسيس: الأمر الذي لا يعجبك فإنني فداء له لأن ذلك يلقي ضوءا على جانب من جوانب حياته عليه السلام إذ يتبين منه كم

كان يكنّ غيرة إيمانية وحبا وعشقا وإخلاصا للنبي ﷺ . قد يكون ذلك عيبا عندك ولكني أراه خلقا عظيما، وبسماعي هذا الكلام من فمك زدتُ إخلاصا واحتراما للمسيح الموعود عليه السلام.

فباختصار، كان عليه السلام يعشق النبي ﷺ إلى أقصى الحدود وما كان له أن يتحمل أن يسيء أحد إليه ﷺ. فهذا هو الطريق الأمثل لإظهار الغيرة للنبي ﷺ بحيث يدرك الشخص الآخر تلقائيا أنه يجب عليه أن يتحدث عن النبي ﷺ ضمن حدود الأدب.

باختصار، قد أثبت سيدنا المسيح الموعود عليه السلام للعالم بعمله وكتاباته وخطاباته ما هو الحب الحقيقي للنبي ﷺ وما هي الغيرة الصادقة لحضرته ﷺ، ثم نفخ نفس الروح في أبناء جماعته أيضا؛ أن يُظهروا الغيرة من أجل النبي ﷺ ويقوموا بكل تصرّف في سبيل ذلك، ولكن في حدود القانون. فلما ألَّف أحد الآرية كتابا مسيئا جدا إلى النبي ﷺ ومؤذيا للمسلمين ثم نُشر مقال عنه في مجلة "ورتمان" فقد بذل حضرة الخليفة الثاني للمسيح الموعود عليه السلام كل ما في وسعه من الجهود في ضوء تعليم المسيح الموعود عليه السلام، ونصح أبناء الجماعة أيضا أنّ على المسلمين أن يُبدو غيرة من أجل النبي ﷺ، ويجب أن يثبتوا أيضا أن المسلمين يتحكمون في أنفسهم ولا يفقدون السيطرة عليها، فإذا أثبتوا ذلك للعالم فلن يعرقل طريقَهم، وسوف يتخلى العالم عن معارضتهم.

ففي أثناء ذلك نشر حضرته رضي الله عنه إعلانا، وحين نقرأ كلماته يتبين لنا كم أبدى حضرته من الغيرة، كما حرّض جميع المسلمين أيضا على إبداء الغيرة، فقال: – يوم كان العدوُ يثير الاعتراضات على النبي ﷺ والإسلام – هل ثمة كارثة

أكبر من هذا، هل يمكن أن يرى الإسلام يوما عصيبا أكبر من هذا، هل يمكن أن يتخذ ضعفُنا وعدمُ حيلتنا شكلا آخر؟ ألا يعرف جيرانُنا أنّا نحب النبي ﷺ فداه نفسي وأهلي، بكل الروح والقلب، وأن كل ذرة من كياننا فداءٌ لغبار أحذية سيدِ الأطهار هذا ﷺ، وإذا كانوا على علم بذلك فما عسى أن يكون هدفهم من مثل هذه الكتابات سوى أن يجرحوا قلوبنا ويشقّوا صدرونا وأن يكشفوا هواننا وبؤسنا، أمام عيوننا في أبشع صورة، وأن يكشفوا علينا أنهم لا يبالون بمشاعر المسلمين قدرَ ما يبالي الغني الثري بحذائه البالي، لكنني أسألهم: ألا يخطر ببالكم أسلوبٌ آخر لإيذاء المسلمين؟ إن أرواحنا حاضرة وأرواح أولادنا أيضا، فلتؤذونا قدر ما تريدون، لكن بالله عليكم لا تفسدوا دنياكم وعقباكم بإساءتكم إلى سيد الرسل ﷺ. أما الذي يهاجمه ﷺ فنحن أيضا لا نريد أن نعقد الصلح معه، لقد قلنا لهم مرارا وأود أن أذكِّر – هنا – هؤلاء مرة أخرى أنه يمكن أن نتصالح مع سباع الغابة وأفاعي الفلوات، لكننا لا نستطيع أن نتصالح أبدا مع أولئك الذين يسبُّون نبينا الكريم ﷺ. فليفعلوا ما يريدون مستعينين بالقانون ومستغلين القرار الحالي الصادر من محكمة بنجاب العليا، – في تلك الأيام كان قد صدر قرار ضد المسلمين – فليسبّوا نبينا ﷺ قدر ما يريدون استغلالا لذلك القرار، وليتذكروا أن فوق القانون الحكومي هناك قانون آخر هو قانون الفطرة الذي سنَّه الله ﷻ. فيمكن أن ينجُوا من بطش القانون الحكومي بقوتهم لكنهم لن يتخلصوا من بطش قانون القدرة، ولا بد مِن تحقق هذا القانون الفطري الصارم الذي سنَّه الله ﷻ، وهو أنه يستحيل علينا أن نحب مَن يسيء إلى حبيبنا ونتصالح معه.

فحين حدث هذا أُجريَ بفضل من الله التعديلُ في القانون في الهند وصدر القانون أنه لا يجوز الإساءةُ إلى الأنبياء وإلى رؤساء الفِرق الدينية.

وبعد ذلك حين نلقي النظرة على تاريخ الأحمدية نجد أنه حين صدر كتاب سلمان رشدي البغيض قبل ما يقارب خمسة وعشرين عاما ردّ عليه حضرة الخليفة الرابع رحمه الله بنفسه في الخطب وأملى الرد ونُشر في صورة كتاب باللغة الانجليزية، وقد صدرت ترجمته الأردية أيضا بعنوان "سلمان رشدي أسير الأشباح"

ثم حين نُشرت في الدنمارك رسومٌ مسيئة إلى النبي ﷺ في ٢٠٠٥ ردَّ عليها مركزُ الجماعة هناك وفندتُ أنا أيضا في الخطب الفكرةَ وراء هذه الرسوم، وقمنا بإجراءات أيضا ضمن نطاق القانون، ثم حين هاجم أحدُ أعضاء البرلمان الهولندي القرآن الكريم والإسلام صدرتْ منا الردود. فإبداء الغيرة داخل نطاق القانون هو رأسمال المسلم الحقيقي، وإذا خطونا أي خطوة خارج حدود القانون فلن تعبر عن حبنا وعلاقتنا الصادقة مع النبي ﷺ، فالشيء الذي يجعل علاقة الصدق والوفاء هذه دائمةً هو السعي لنشر رسالته، فإذا أدرك المسلمون روح هذه الرسالة الجميلة وأدَّوا حق تبليغها فلن تبقى هذه الأوضاع التي نراها في العصر الحاضر. فلو تأسى المسلمون في الحقيقة بأسوة النبي ﷺ لسكت العدو تلقائيا، حتى لو حاول بعض المسلمين المغرضين استغلال القانون لأدائهم القانونُ وقضى على طبعهم المغرض. غير أن هذه الأمور التي أتكلم عنها إنما تتولد من التقوى، فإذا كانوا يريدون إبداء الغيرة من أجل النبي ﷺ حفاظا على احترامه ﷺ فليبحثوا عن التقوى التي كان النبي ﷺ يحب أن يولّدها فينا.

إن تاريخ الجماعة الإسلامية الأحمدية حافل بأحداث الغيرة من أجل النبي ﷺ، ولا يسَع بيانها عدد من الخطب، أما الإحاطة بها في خطبة واحدة فمستحيل، فإذا كنا نريد أن نبرّئ ساحة النبي ﷺ من كل اعتراض وسخرية، فلن يتأتى ذلك باللجوء إلى أي قانون وإنما بجمع العالم تحت رايته ﷺ، لأن الحقيقة أن فساد العالم سينتهي عندما نطبق تعاليم النبي ﷺ على أنفسنا ونجمع العالم تحت رايته ﷺ، أما إذا سننّا القوانين لنستغلها لمصالحنا الشخصية، فسنكون نحن أيضا مرتكبين الإساءة إلى النبي ﷺ.

إن كتيب "ورتمان" الذي ذكرتُه قبل قليل قد كتب عنه حضرة الخليفة الثاني رضي الله عنه، وحث المسلمين على الاحتجاج، فرفَعت الأمة الإسلامية بأسرها احتجاجا صارخا، ورُفعت القضايا. باختصار حدث التغيير في نهاية المطاف وعوقب المجرم. وحين صدر الحكمُ قال حضرة الخليفة الثاني رضي الله عنه بحقٍّ: إن شرف سيدي ومولاي محمد ﷺ أرفع من أن يقدَّر بقتل فرد أو جماعة، فكان سيدي ﷺ قد بُعث ليبعث الحياة في العالم لا للقضاء عليه. ليت المسلمين يدركون الحقيقة أن القانون يعالج الفتنة الظاهرة لا القلبَ، حيث يقمع الفتنةَ في الظاهر لا من القلب – وإذا كانت ثمة في الحقيقة أي فتنة – فالمشكلة أنهم لا يتحققون من أن التصرف الذي يعاقِبون عليه يمثّل في الحقيقة فتنةً أم لا.

فالفرحة الحقيقية للمسلم تتحقق يوم تكون قلوبُ العالم عامرة بحب النبي ﷺ. فمن واجب المسلمين الأحمديين اليوم أن يسعوا لإحراز هذه المهمة ويجب أن نسعى جاهدين لأداء هذه الفريضة. وإذا أبدى سائرُ المسلمين العفوَ والحبَّ بدلا من القسوة والعنف وتأسَّوا بأسوة النبي ﷺ فهذه هي خدمتهم للإسلام.

فقد قرر اثنان من ألد أعداء الإسلام المقاومةَ عند فتح مكة، ثم حين رأيا الجيش الإسلامي ولاحظا شوكته عند الفتح أصابهما اضطرابٌ، فاستجارا السيدةَ أمّ هانئ وكانا من أقارب زوجها فأجارتْهما، فلما جاءت إلى النبي ﷺ وأخبرتْه أنها أجارتهما لكن أخاها علي يصر على أن يقتلهما لأنهما مجرمان، فقال ﷺ: قد أجرْنا مَن أجرتِ يا أمَّ هانئ، فعفا عنهما. وبعد هذا العفو كانا يفكران كيف يواجهان حضرته ﷺ بعد معاملة الحب والرأفة هذه تجاههما. ثم حين قابل أحدُهما وهو الحارث بن هشام النبيَّ ﷺ عند المسجد بالمصادفة، استقبلَه رحمةٌ للعالمين بمنتهى الشفقة والرحمة.

ثم استُشهد هذا الحارث في معركة اليرموك دفاعا عن الإسلام. نرى في هذا الحادث كيف أن النبي ﷺ احترم إجارة المرأة فأسلم مَن كانت أجارتْه. فاليوم أيضا نحن بأمسّ حاجة إلى التأسي بهذه الأسوة، وتبليغ الرسالة الحقيقية للإسلام في العالم كله، لا إلى سنّ القوانين الظاهرية وتنفيذها بصورة خاطئة. وفَّقنا الله ﷻ لذلك نحن وسائر المسلمين في العالم.